ISSN : 2543-3938 - EISSN : 2602-7771

دور رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في جلب الدعم المادي والمعنوي لثورة التحرير الجزائرية في الخارج (1954 – 1962)

The role of the Men of the Association of Algerian Muslim Scholars To bring material and moral support to the Algerian liberation revolution abroad (1954-1962)

فارح يعقوب[1]*، حفظ الله بوبكر[2]

[1] مخبر الدراسات الإنسانية و الأدبية ، جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي (الجزائر)

yaakoub.farah@univ-tebessa.dz

[2] مخبر الدراسات الإنسانية و الأدبية ، جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي (الجزائر)

hafdalla.boubakeur@univ-tebessa.dz

تاريخ الإستلام: 2022/01/15 **تاريخ القبول**: 2024/01/19 **تاريخ النشر**: 2024/04/30

ملخص:

موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تجاه الثورة التحريرية يمكن الوقوف عليه من خلال جانبين؛ محليا، وخارجيا. وهذه المقالة بحثت في موقف جمعية العلماء من حيث تفاعل مكاتبها في المشرق العربي بدءًا من مكتبها الرئيسي بالقاهرة، وذلك من خلال دور قادتها وأعضائها البارزين في حرب التحرير، باعتبار أن الثورة الجزائرية (1954-1962) كانت بحاجة إلى مدّ جسور التعاون مع الإخوة الأشقاء من الدول العربية والإسلامية طلبًا لنصرتها ومساندتها في تحقيق حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره. ومن بين قادة وأعضاء جمعية العلماء البارزين في الخارج على غرار الشيخ الرئيس الإبراهيمي، نجدكُلاً من الفضيل الورتلاني وأحمد توفيق المدني اللّذين كانا لهما دور فعّال في إكساب الثورة الكثير من الأصدقاء والمساندة المادية والمعنوية خاصة من الجانب العربي والإسلامي.

الكلمات المفتاحية: الثورة التحريرية ؛ الدعم المادي والمعنوي ؛ الفضيل الورتلاني؛ توفيق المدني؛جمعية العلماء ؛

***

Abstract:

The position of the Association of Algerian Muslim Scholars towards the liberation revolution can be seen from two sides; locally, and abroad. This article examined the position of the Association in terms of the interaction of its offices in the Arab Mashreq from its main office in Cairo, and this through the role of its prominent members in the liberation war, considering that the liberation revolution (1954-1962) needes brothers siblings from Arab and Islamic countries to support the right freedom and independence. Among the leaders and members of the Association of Prominent Scholars abroad, such as Sheikh Al-Ibrahimi, we find Al-Fadil Al-Wartalani and Ahmed Tawfiq Al-Madani, who active role to consolidation the liberation revolution many friends and material and moral support, especially from the Arab and Islamic side.

Keywords: *Al-Fadil Al-Wartalani; Leaders of the Scholars Association; liberation revolution; material and moral support; Tawfiq Al- Madani;*

* المؤلف المرسل.

I. مقدمة

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، تزامن ظهورها مع تطور الوعي العربي والإسلامي والرغبة في التغيير والتحرر من الاستبداد، وقد كانت تهدف أساسًا إلى الحفاظ على مقوّمات الأمّة الجزائرية من الناحية الدينية واللغة ومع أنها حركة ذات طابع اجتماعي ديني وثقافي، إلا أنها لم تتوان في ادخار جهدها وطاقاتها وخبراتها في إيصال صوت الجزائر إلى العالم العربي والإسلامي، فصفحات التاريخ الجزائري لتشهد بمكانة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في النضال ضد الاستعمار، منذ نشأتها إلى غاية قيام ثورة التحرير المُباركة 1954، خصوصًا مجهودها الكبير لكسب المساندة والمساعدة المادية والمعنوية لهذه الثورة.. ولإثبات هذه المكانة حاولت هذه المقالة إبراز دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في إيصال صوت الثورة التحريرية و السعي إلى تحقيق أهداف الثورة وعلى رأسها تحقيق الحرية والإستقلال، من خلال قادتها وأعضاءها الفاعلين في الخارج إنطلاقا من مكتبها بالقاهرة.

فإذا كانت الكثير من الدّراسات والبحوث قد تناولت دور الشيخ البشير الإبراهيمي في الثورة التحريرية بالخارج، إلا أنّ هناك من الأعضاء والقادة المميّزين لدى جمعية العلماء الذين إستطاعوا بفضل تكوينهم وشخصيتهم أن يخلقوا لهم مكانة كبيرة وحيّزًا أكبر في الساحة الثورية وهذا ماجعل جبهة التحرير الوطني تعمد إلى الاستعانة بهم في الخارج، ومن بينهم الشيخان والأستاذان؛ الفضيل الورتلاني وأحمد توفيق المدني، **فكيف إذن كانت إسهاماتهم العملية في تحقيق المساندة للثورة الجزائرية في الخارج؟ وما مدى تحقيق أهداف الثورة من خلالهم؟**

وللإجابة على هاته الإشكالية إعتمدنا المنهج التاريخي الوصفي في رصد و سرد الأحداث والشهادات ووصف الحقائق والوقائع ، كما إعتمدنا على المنهج التاريخي التحليلي الذي يفيد تحليل الحقائق والأحداث

وبالنظر إلى طبيعة الموضوع والأهداف المرجوه منه ، رأينا تتبع خطة عمل مكوّنة من عنوانين رئيسيين ، العنوان الرئيسي الأول كان موسومًا تحت عنوان : أهمية مكاتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في المشرق العربي ودورها في التعريف بالثورة التحريرية الجزائرية، أمّا العنوان الرئيسي الثاني كان كالآتي : دور بعض قياديي جمعية العلماء لصالح الثورة الجزائرية في الخارج ، حيث تمّ التركيز على شخصيتين مهمّتين من بين أعضاء الجمعية كمثال وتسليط الضوء عليهما ، وفي الأخير خاتمة ضمّت أهم النتائج المتوصّل إليها في هذا المقال

أولا- أهمية مكاتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في المشرق العربي ودورها في التعريف بالثورة التحريرية الجزائرية؛

عندما إندلعت الثورة التحريرية وبدأ صوتها يلوح في أفق العالم العربي والإسلامي، وجدت جبهة التحرير الوطني أراضيه بِساطًا سهلَ القبول بقضية الثورة وتقرير مصيرها، لعدّة عوامل أهمها الروابط الفكرية والثقافية والدينية و كذا الجغرافية، فكان من خيارات الثورة الاستعانة بكل كفاءات الوطن ومن بينهم رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الخارج التي كانت تراهم حريصين مثلها في مناهضة الاستعمار ومحاربته، فاستعانت بهم في الداخل والخارج على حدّ سواء (رمضاني، 2021، صفحة 256).

اتخذت جمعية العلماء من القاهرة مركزًا لنشاطها بالمشرق العربي، فكانت مصر المنطلق الأساسي لمختلف أعمال رجال الجمعية خارج الجزائر، وكان هذا بداية من قدوم البشير الإبراهيمي نحوها بداية من

مارس 1952، حيث ارتحل إلى عديد البلاد العربية والإسلامية على غرار العراق، الكويت، تركيا، إيران، سوريا، الأردن، القدس، وباكستان.. حيث عمِل في كل ترحاله وتنقلاته على تقريب الصورة الحقيقية لقضية الجزائر العربية والإسلامية نحو المشرق ، كما طالب أثناء ذلك المجتمعات والحكومات العربية والإسلامية بتقديم مختلف المساعدات الممكنة للشعب الجزائري في شتى المجالات سياسيا واجتماعيا وثقافيا (KHENDOUDI, 2007, pp. 20-21).

ورغم قلة عدة وعدد مكاتب جمعية العلماء ، إلا أنها ساهمت في نشر قضية الثورة التحريرية وعلى رأسها مكتبها بالقاهرة ، وهنا يذكر الشيخ عبد الرحمن جيلالي أنه يوم اندلعت الثورة التحريرية 1954 ، عمِل الشيخ الإبراهيمي في مصر بشكل كبير على إذْكاء الحماس الوطنيّ لصالح الثورة الجزائرية بكل الوسائل المتاحة والمباحة كالمراسلات الشخصية والمكاتبات السِّرّيّة، من خلال نشر حقيقة الوضع الجزائري لدى دول المشرق العربي والإسلامي، فكان بحقٍ همزة وصلٍ بين قادة الثورة الجزائرية ورؤساء وملوك تلك الدول (الجيلاني، 2012). ففي بدايات الثورة التحريرية قام البشير الإبراهيمي والورتيلاني بلفت أنظار أقطار العالم الإسلامي والعربي نحو الجزائر وقضيتها المشروعة (ميلود، 2004، صفحة 59)، فكان الإبراهيمي ورفاقه بالقاهرة يرون أن الثورة التحريرية ضد فرنسا ما هي إلا نهاية حتمية لسياستها الإستعمارية وتسلُّطها المتزايد (غازي، 2016).

ولقد ذاع صيت مكتب جمعية العلماء ومكانة الإبراهيمي والورتلاني إلى أن وصل تأثيرهم إلى كبار قادة العرب آنذاك على غرار جمال عبد الناصر وأنور السادات اللذان قاما بتصريحات شديدة اللهجة - في جريدة الجمهورية المصرية وكذا جريدة كارفور *Carrefour* الفرنسية- ضد الاستعمار عامّة والاستعمار الفرنسي خاصة الذي كان يمارس سياسة التسلّط والهيمنة والاستعمارية ضد الشعب الجزائري (الإبراهيمي م.، 2007، صفحة 41). وهذا ما أدّى بمكتب الجمعية في القاهرة بإرسال برقيتي شكر وعرفان حملت توقيع الإبراهيمي والورتيلاني إلى كُلٍّ من جمال عبد الناصر وأنور السادات (البصائر، 1954). وممّا جاء فيها: "شكرًا عميقًا لا نهاية لأثره على تصريحاتكم العبقرية لجريدة كارفور الاستعمارية.. حيَّاكُم الله وزملاؤكم القادة الأبرار وقوَّى بكم جهاد الأحرار وأخاف بكم الظالمين الأشرار وبارك رعايتكم لإخوانكم باستمرار.." (الإبراهيمي م.، 2007، صفحة 41).

فكان الإبراهيمي منذ نوفمبر 1954 يَعرِض ويقدِّم البطولا ت الوطنيّة الجزائرية وحقيقة الثورة التحريرية، من خلال الرسائل والبيانات، ونذكر هنا أولى تلك البيانات التي أصدرها مكتب جمعية العلماء الجزائريين بالقاهرة التي كانت بتاريخ 02 نوفمبر1954، والتي قامت أغلب صحف مصر ووكالات الأنباء العالمية بنشره ا في اليوم الموالي (الإبراهيمي، 1997، صفحة 37). ولقد نَشر بتاريخ الثامن من نفس الشهر بيانًا آخر أعلن فيه عن تأييده للثورة الجزائرية (الزبيري، 1404 هـ - 1984م، صفحة86)، وهنا تجدر الإشارة أنّ هناك فرق بين تبنّي الثورة والدعوة لها، وبين الانضمام لجبهة التحرير والالتزام بشرعيتها بحكم الأزمات التي عصفت بالحركة الوطنية قبيل اندلاع الثورة المجيدة (حداد، 2014، صفحة 132).

كما أصدر كذلك في اليوم الحادي عشر من شهر نوفمبر 1954 بيانًا جاء بعنوان "أوسع المعلومات عن بداية الثورة في الجزائر" يصف فيه أحداث بدايات تفجير الثورة التحريرية عبر مختلف القطر الجزائري (شيبان، 2009، الصفحات 296-297). بالإضافة إلى النداء الذي وجَّهه عبر أثير إذاعة "صوت العرب" من القاهرة يوم 15 نوفمبر من نفس السنة بإمضائه وإمضاء نائبه الشيخ الفضيل الورتيلاني الذي باركا فيه عمليات أول نوفمبر وأكّدا فيه تأييد مكتب الجمعية في القاهرة للكفاح المسلَّح، وأهم ما جاء فيه؛ "..إنكم

كتبتم البسملة بالدماء في صفحة الجهاد الطويلة.. التي هي شعاركم في التاريخ.. جاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، :((كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)) (البقرة، الآية:249)، فَهلُمُّوا إلى الكفاح المسلّح.. فسيروا على بركة الله وبعونه وتوفيقه.. إمَّا موتٌ وراءه الجَنَّة وإما حياة وراءها العِزّة والكرامة" (بومالي، 2010، صفحة 210). مضيفًا يوم 22 ديسمبر 1954 واصفًا الثورة الجزائرية؛ "بأنّها لا يمكن أن تُسْقى بالماء بل بالدّماء الزكيّة، لأنها ستكون ثمرتها الحُرّية لا مَحالة.." (KHENDOUDI, 2007, p. 108).

وفي نفس المضمار تدخَّل الشيخ البشير الإبراهيمي بكلمة بمناسبة الاحتفال بالذكرى الثالثة لثورة نوفمبر عبر إذاعة القاهرة يوم 01 نوفمبر 1957، أبْرزَ فيها معاناة الشعب الجزائري وثورته في مسيرته نحو الحريّة مُقدِّما أغلى ما عنده روحه ودمه.. مهيبا بالشعوب العربية أولا ثم الإسلامية أن لا يخذلوا إخوانهم الجزائريين بدعم ثورتهم برفع الظلم والهوان عن الأرض والشعب، وذكَّرهم بأن لا يعجبوا ببطولات الثورة ويندّدوا بجرائم المستعمر قولاً وحسب ، بل بالعمل والفعل أيضا (نور، 2013، الصفحات 145-152).

ومن نتائج التفاعل العربي مع نداءات جمعية العلماء في الخارج أنّ الدول العربية شرعت في مدّ يد العون - بحسب قدرة كل دولة- على حشد الدعم للثورة الجزائرية في كل من آسيا وأفريقيا، فظهرت فكرة تنظيم يوم خاص بالجزائر سُمِّي بـ "يوم الجزائر"، تأييدًا ودعمًا لثورة نوفمبر وشعبها(رمضاني، 2021، صفحة 260). فكانت القاهرة دوما أرضا ليّنة وخِصبة لإقامة مثل هذه المناسبات التي تُستغل في ذكر مظاهر الاستعمار وسياساته وأثره على العالم العربي والإسلامي (نور، 2013). بالإضافة إلى دور العراق الذي لا يقلّ أهمّية عن دور البلدان العربية الأخرى في إبراز ونصرة الثورة ماديا ومعنويا وسياسيا، وهذا واضح خاصة بعد مشاركة الإبراهيمي في "أسبوع الجزائر" لدى دولة العراق(الديب، 1984، الصفحات 644-645)، والتي حضرها نيابة عن جبهة التحرير الوطني أثناء المهرجان الوطني العراقي الرابع، وخلال افتتاح "أسبوع الجزائر" فيها، حينما أكّد على ضرورة معرفة حقيقة ثورة الشعب الجزائري مِن كلّ الإخْوة العرب، وحثّهم على تركيز إسهاماتهم المادية بالدرجة الأولى، مُركِّزا دعوته على ركنٍ من أركان الإسلام ألا وهو الزكاة، حيث ذكّرهم بالجانب الشرعي والفقهي في ذلك ، المتعلق بأحقّية ووجوب الصدقة والزكاة على كل مسلم نحو أخيه المسلم مناديًا في الإخوة العرب والعراقيين قائلا؛ "..ولِزكاة الأخوَة، يؤدِّيها عربيّ الشرق، حقّا، ويأخذها عربيّ الغرب مُستحقا، فتَنْقلِبُ في يده سلاحا يَقتُل به عدُوَّ الفريقين.." (الإبراهيمي م.، 2007، صفحة 131).

ولقد كان لقدرة وكفاءة قادة ورجال جمعية العلماء ومكانتهم في الخارج، الأثر البالغ على جبهة التحرير الوطني ، هاته الأخيرة التي أدركت أنّ جمعية العلماء وأعضائها البارزين في الخارج لا يقلُّون أهمية عنهم في الداخل، لكونهم يملكون كل إمكانيات التواصل الاجتماعي والعلمي وحتى السياسي لأجل تحقيق صدى الثورة التحريرية إلى أبعد مستوى في المشرق العربي تحديدا (رمضاني، 2021، صفحة 262). وفي هذا الشأن أشار المؤرخ ناصر الدين سعيدوني؛ بأنّ جبهة التحرير الوطني قامت بإسناد العديد من المهمَّات الخارجية للثورة التحريرية إلى كثير من أعضاء جمعية العلماء، في أنحاء المشرق الإسلامي (سعيدوني، 2000، صفحة 228).

خلال 1956 أوكلت إلى الإبراهيمي رئاسةِ بِعثةِ جبهة التحرير إلى باكستان التي دامت حوالي عامًا ونصفًا، حيث نجحت هاته المَهمة بسبب ما لاقته من صدى كبيرٍ أوساط المجتمع الباكستاني سياسيا، اجتماعيا، وثقافيا، وهذا يتّضح من خلال المحاضرات واللقاءات والمحادثات التي قام بها هناك، فأصبحت

ثورة التحرير تمتلك صديقًا وداعمًا جديدًا يضاف إلى جملة الدول والأمم المساندة لثورة الشعب الجزائري (درق، 2010، الصفحات 127-128). فهذه الزيارة دعا فيها إلى التعريف بالجزائر وقضيتها المشروعة في الحرية والاستقلال كغيرها من البلاد العربية والإسلامية باعتبارها جزء لا يتجزأ عن العالم العربي والإسلامي (نور، 2013، صفحة 152).

وعليه فإن صدى زيار ة البشير الإبراهيمي إلى باكستان الأولى كان لها أثر بالغ في تحقيق مساندة الثورة الجزائرية، ويتجلى ذلك مثلاً في ردود فعل أحد علماء الهند "أبو الحسن الندوي" حينما بعث برسالة إلى الفضيل الورتيلاني يتحدّث فيها عن دعم مسلمي الهند وباكستان لثورة الجزائر المباركة. حيث قال فيها: "..حتى وَدِدتُّ لو أنني كنت هناك، في جبالها أو سهولها أحمل البندقية.. يشرّفني بالانتساب إلى المجاهدين.. وأنّ ستمائة مليون من المسلمين والكثير من أحرار الغرب والشرق يحملون مثل عواطفي أو أحسن منها.. فهي قوة لا يستهان بها (تاورتة، 2011، الصفحات 220-222). وقد طلب منه أن يؤدي عنه تحيّات الهند والباكستان جميعًا بما فيها دعمهم المعنوي والسياسي لثوّار الثورة التحريرية، مذكّرًا إيّاه بقولهتعالى:((كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ))(البقرة، الآية:249).

فيمكن إرجاع لجوء جبهة التحرير إلى استعمال قادة وأعضاء جمعية العلماء في التعريف بقضية الجزائر إلى عدّة عوامل أهمها على الإطلاق الدور الذي لعبته جمعية العلماء قبل الثورة في هذه البلدان، خاصة تلك التي زارها العديد من علماء الجمعية وعلى رأسهم الشيخ ان الإبراهيمي والورتيلاني.. فقد زار الورتيلاني العديد من دول العالم الإسلامي المشرقية، كما التقى العديد من رؤساء وزعماء العرب والمسلمين، كعبد الرحمن عزام باشا الأمين العام لجامعة الدول العربية، ومحمد عبد اللطيف درّاز رئيس الأزهر، وعبد الكريم الخطابي زعيم ثورة الريف المغربية، وأحمد سوكارنو رئيس إندونيسيا في جاكرتا.. (سعيدوني، 2000، صفحة 141) ، لذلك فقد كانت لرجال جمعية العلماء علاقات كبيرة مع قادة وشعوب تلك الدول، وقلّملج د ذلك عند قادة هيئات وأحزاب الحركة الوطنية (رمضاني، 2021، صفحة 264).

ثانيا: دور بعض قياديي جمعية العلماء لصالح الثورة الجزائرية في الخارج

كان لتفاعل جمعية العلماء مع الثورة التحريرية الأثر الكبير في ازدياد تمسُّك جبهة التحرير ببعض قادتها في الخارج ، و في هذا المقام نشير إلى الدور البارز للأستاذين الفاضلين توفيق المدني والفضيل الورتلاني ، ويرجع ذلك لقدرتهما وإمكانياتهما وكفاءتهما العلمية وشخصيتهما القيادية والدبلوماسية في تقوية أرضية الوفد الخارجي للجبهة وتثبيت الصورة الحقيقية للثورة الجزائرية في الخارج.

1. دور الفضيل الورتلانيفي التعريف بالثورة الجزائرية وحشد دعم المشرق العربي لها:

قبل التطرق إلى إسهامات ودور الفضيل الورتلاني في الثورة التحريرية الجزائرية، وجَب ذِكر لمحة مختصرة عن حياته: فهو الشيخ الورتلاني ينحدر من قبائل بني ورتلان شرق الجزائر (02 جوان 1900- 12 مارس 1959) كان من أنشط شباب جمعية العلماء في المشرق العربي بعدما استدعاه الإبراهيمي لرفقته لإدارة وتنشيط مكتب الجمعية في القاهرة، فقد جال وزار معظم البلاد العربية والإسلامية من أجل تعريف القضية الجزائرية بعدما كادت تصبح الجزائر فرنسية في أذهان العرب بسبب الإعلام الاستعماري في المشرق العربي. فكان الورتلاني ممن ساهموا في دحض مزاعم فرنسا بفرنسية الجزائر، فقد كانت له أفكار ثورية تحررية دمج فيها بين فكر جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده . وافته المنية بتركيا خلال 1959، ثم نقل جثمانه بعد الإستقلال إلى الجزائر.. (الورتلاني، 2009، الصفحات 30-36).

فللفضيل الورتيلاني من رجال وقادة جمعية العلماء الذين كانوا كثيرا ما يناهضون الهيمنة الاستعمارية بكل أنواعها وسياساتها، فكثيرا ما كان يكتب في مقالاته ويذكر في محاضراته أن من أهم عوامل الخلاص هو الثورة تحت شعار الجهاد، فكان حريصا على تحريض كل وطني وكل من يتصف بالحرية مهما كان موقعه سواء في الجزائر أوغيرها من بلدان المغرب العربي بوجوب الكفاح المسلّح ضد الإستعمار وأذنابه، ومما قاله في هذا الشأن: "إلى الثائرين الأبطال من أبناء الجزائر اليوم، حياة أو موت، بقاء أو فناء.. أيها الأحرار الجزائريون أيها المكافحون في جميع أقطار المغرب العربي، اعلموا أن الجهد للخلاص قد أصبح اليوم واجبا عاما مقدسا.." (الورتلاني، 2009، الصفحات 170-171). من هذا يمكن القول بأن الورتلاني كان شديد المناهضة للاستعمار الفرنسي بفضح مغالطاته ومحاولة تشويهه لحقيقة الثورة الجزائرية ، وندرج في هذا السياق ما كتب وتحدث عنه في هذا الشأن عبر الصحف قائلاً: "وإنما تخصص فريق من أبطال شبابهم، بحمل السلاح فعلا، وبمواجهة المستعمرين بالقتال، وأولئك الأبطال المقاتلون، هم اليوم جيش الأمة الذي تفديه بكل ما تملك من نفسٍ ونفيس، لا مزاح فيه، وهو استرداد سيادة البلاد واستقلالها، وأن هذه الثورة لن تنتهي إلا بتحقيق ما قامت من أجله أو بعد الاستشهاد في سبيله" (الورتلاني، 2009، صفحة 100).

كان الفضيل الورتلاني كثير الحرص على تأكيد مبدإٍ أساسي عن الحرية كونها تُؤْخَذ ولا تُمنَح، لذلك كان يطالب الشعب الجزائري بضرورة الإلتفاف حول الثورة التحريرية وعدم الإكتراث إلى دعوات ومغالطات فرنسا المضللة عن حقيقة الثورة وأن لا يخافوا الموت لأنه لا سبيل للجزائري الحر إلا الموت في سبيل دينه وعرضه ووطنه أفضل من عيش تحت هيمنة وتسلط أجنبي لم يدّخر جُهدا في تحقيره وسلبه وطنه ودينه وكل ما يملك، حيث كثيرا ما كان يذكّر الجزائريين بأجدادهم المقاومين عبر حقب التاريخ الماضية، ومما جاء في ندائه: "نعيذكم بالله أن تتراجعوا.. واختاروا ميتة الشرف على حياة العبودية التي هي شرٌّ من الموت، إنكم كتبتم البسملة بالدماء في صفحة الجهاد الطويلة العريضة، فاملؤوها بآيات البطولة التي هي شعاركم في التاريخ، وهي إرث العروبة والإسلام فيكم.. هلمّوا إلى موت وراءه الجنةأو حياةٍ وراءها العزة والكرامة.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته" (تاورتة، 2011، صفحة 186).

وعلى منوال ما قدّمه الإبراهيمي من بيانات لصالح الثورة كما سبق ذكره، قام الورتلاني بتوجيه خطاب إلى الشعب الجزائري وإلى فرنسا وحكومتها الإستعمارية وإلى العالم العربي والإسلامي في الثالث من نوفمبر1954، حرّض كل الوطنيين والغيورين على وطنهم بالثّباتوالإلتفاف حول قضيته المشروعة من خلال ثورته المشروعة (الورتلاني، 2009، الصفحات 170-172). كما ذكّر العرب و المسلمين بواجب المساعدة والوقوف أمام أعداء الجزائر، باعتبار أنّ أعداء الجزائر هم أعداءهم جميعا فطالبهم بالمبادرة في دعم الشعب الجزائري وثورته ماديا ومعنويا(الورتلاني، 2009).

وحول نفس الموضوع ، كان من بين أهم الأعمال الوحدوية التي شارك فيها الفضيل الورتلاني رفقة الشيخ الإبراهيمي هوإنشاء "جبهة تحرير الجزائر" في القاهرةبتاريخ 17 فيفري1955 (نور، 2013، صفحة87). حيث يذكر رجل المخابرات المصري فتحي الديب أنه نظَّم عِدّة إجتماعات من أجل إنشاء مكتب "جبهة تحرير الجزائر" التي ضمّت العديد من الشخصيات السياسية والجمعوية، فبعد الإجتماع الثاني الذي سطّر يوم 22 جانفي 1955 معيّة الشيخ البشير الإبراهيمي وبحضور ممثليالهيئات والأحزاب الجزائرية"الشيخ محمد البشير الإبراهيمي والفضيل الورتيلاني عن جمعية العلماء، وأحمد مزغنة والشاذلي المكي ممثلان عن مصالي الحاج، وأحمد بيوض عن حزب البيان، وحسين الاحول، محمد يزيد، أحمد بن ب لّة ، محمد خيضر، وحسين آيت

أحمد عن جبهة التحرير الوطني "، خُتم هذا الإتفاق بتوقيع "ميثاق جبهة تحرير الجزائر" (الديب، 1984، صفحة 78).

كان الهدف من إنشاء "جبهة جزائرية" في الخارج مبدئيا هو مساندة الثورة التحريرية وتحقيق مكاسب لها وهذا بزيادة عدد المؤيدين والمناصرين لها (الديب، 1984، صفحة 142).

لم يتوان الورتيلاني على دعم الثورة منذ الأيام الأولى لإندلاعها ، فهو الذي مثَّل جبهة التحرير الوطني في مصر ثم في بلدان إسلامية أخرى، وهو الذي كتب العديد من المقالات في الصحف المشرقية مُعرِّفا بقضية الجزائر وثورتها، حتى كسبت أصدقاء عربًا ومسلمين وأجانب (لونيسي، 2011، صفحة 116). وقد ساهمت رسائله عبر وسائل الإعلام العربي في كثير من بلاد المشرق العربي في حث الأشقاء العرب إلى التبوع لصالح الثورة الجزائرية ضد فرنسا (ساعو، 2016).

كما لم يكتف الورتلاني ببعث البرقيات والرسائل الثورية إلى الهيئات الرسمية للبلدان العربية فحسب ، بل كان حريصًا كذلك على إبلاغ توصيات مكتب الجمعية بالقاهرة إلى مقر الجمعية الأمّ في الجزائر، على غرار تلك الرسالة التي أبرقها إلى زملائه في الجزائر يحثُّهم فيها بتحريض الأوساط الشعبية وطلبة مدارسها من أجل تكثيف الدعاية للثورة التحريرية إنطلاقا من توحيد الصفوف، والتي كانت ممضية من طرف علال الفاسي من المغرب ومحمد خيضر وابن بلة وأحمد مزغنة عن الجزائر((Archives, 1960, p. I (7) .

وكان هذا قبيل قيام وانعقاد إجتماعات هيئة الأمم المتحدة في دورتها الخريفية عام1955، حيث سافر إلى كل من سوريا ولبنان لطلب دعمهم الكامل في هذا المحفل الدولي ، وحثّهم على المساهمة في دعم وتأييد الثورة الجزائرية خاصة وقضايا المغرب العربي عامة ، ولم يقتصر هنا على طلب الدعم السياسي فقط بل حرِص على طلب الدعم المادي المتعلّق بالإعانة العسكرية (سعيدوني، 2000، صفحة 126).

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أنّه بعد إرسال الورتلاني إلى المشرق من طرف جمعية العلماء لمساندة الإبراهيمي في مكتب القاهرة بداية من سنة 1952، أصبح فيما بعد أحد الأعضاء القياديين لجبهة التحرير الوطني بالقاهرة عام 1955 (عرعار، 2006، صفحة 162)، وبعد الأحداث السياسية الداخلية في مصر بسبب قضية الإخوان المسلمين طَلَب منه مكتب الجمعية مغادرة القاهرة نحو لبنان ليستقرّ هناك ، فلم يتوان عن مواصلة العمل لأجل الجزائر وقضيتها في إبلاغ صرخة الجزائر إلى بلاد الشام قصد حشد الدعم والمساندة لها،ليتجه فيما بعد إلى تركيا، بطلبٍ من جبهة التحرير (بوعزيز، 1995، صفحة 208).

وعموما فالفضيل الورتيلاني كان دوره لا يقل عن دور مختلف أعضاء جمعية العلماء في المشرق فقد أصبح مُمَثِلا لجبهة التحرير الوطني في تركيا بعد انضمام الجمعية رسميا إلى الثورة التحريرية في السابع من شهر جانفي 1956 (رئاسة جمعية العلماء، 1956، صفحة 1،4)، فكان خي رَ ممثل، ليس لجبهة التحرير فحسب بل للجزائر ككل، وبقي مناضلاً وفِيّا من أجل ذلك حتى وافاه الأجل هناك بتركيا في 12 مارس 1959 (عويمر، 2007، صفحة 142).

2. دور توفيق المدني في نصرة الثورة الجزائرية التحريرية في الخارج:

أحمد توفيق المدني(ولد بتونس من أبوين جزائريين يوم 24 جمادى الثانية 1317 هـ / 01 نوفمبر1899 م) كان الشيخ من أوائل مؤسسي جمعية العلماء 1931، فأصبح في هيئتها الإدارية في منصب الأمانة العامة (الكاتب العام)، وتقمّص عدّة مسؤوليات من بينها الإشراف على جرائد الجمعية وعلى رأسها

جريدة البصائر، إلى غاية إنضمام جمعية العلماء رسميًا سنة 1956 إلى جبهة التحرير الوطنية، سافر إلى المشرق رفقة الشيخ العباس بن الحسين كعضوين في الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني، وكان كذلك أحد أعضاء المجلس الوطني للثورة، ثم عضوًا في الحكومة المؤقتة بالقاهرة، وبعد الإستقلال عُيّن وزيرًا للأوقاف والشؤون الدينية، ثم سفيرًا ووزيرًا مفوّضًا في أكثر من بلد عربي وإسلامي. توفي عليه رحمة الله في الجزائر العاصمة يوم 12 محرم 1404 هـ/ 18 أكتوبر1983 م.(الموقع الرسمي لمؤسسة توفيق المدني، 2019).

فللتتبّع لتاريخ الثورة التحريرية عن طريق جبهة التحرير الوطني في الخارج، سيدرك أنها لم تتوان في الإستعانة بالكفاءات الجزائرية من مختلف تيارات الحركة الوطنية عامة ومن قادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خاصة، ومن المهم الإشارة في هذا السياق إلى شخصية أحمد توفيق المدني أحد أعضاء جمعية العلماء والذي كان له دور ريادي وفعال تجاة الثورة المباركة ، وهذا يبقى مجرد مثال لا غير وليس تفضيل شخصية على أخرى (المدني، 1986، صفحة 105).

يذكر الباحث عمار بوحوش أنّ عبّان رمضان عندما إلتقى المدني بمدينة الجزائر في منزل الشيخ محمد خير الدين النائب الثاني لرئيس الجمعية، طلب من هذا الأخير بأن يجنّد توفيق المدني رفقة العباس بن الشيخ الحسين في صفوف الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني لأن الثورة بأمس الحاجة لأمثالهم (بوحوش، 2013، صفحة 271).

فبعد وصول توفيق المدني إلى القاهرة في الـ21 أفريل 1956، حضر إجتماعا ضمّ الوفد الخارجي لجبهة التحرير وعلى رأسهم أحمد بن بلة وأحمد بودة والشيخ الحسين وفرحات عباس وأحمد فرنسيس، بوجملين، بيوض، والأمين دباغين. كما طلب من الحكومة المصرية آنذاك بتكثيف دعمها للثورة التحريرية بالمال والسلاح ، وهو ما ذكره في مذكراته الشخصية قائلاً: ".. فالثورة سلاح وعزيمة فإن قويت العزيمة وقَلَّ السلاح تَغلَّب علينا العدوّ" (المدني، 1986، صفحة 128). لذلك نجده يستغل المناسبات الوطنية والعربية في ذلك للتأثير على الحكام والحكومات كما فعل ذلك خلال ذكرى إسترجاع قناة السويس في 23 جويلية 1956، عندما ألقى خطابا ألحّ فيه على حاجة الثورة الجزائرية الضرورية إلى السلاح بإعتباره أحد ركائز المواجهة المسلحة ضد الإستعمار. وهذا ما أدّى بجمال عبد الناصر إلى تخصيص جزء من الموارد المالية من مداخيل قناة السويس لصالح الثورة التحريرية على وجه الخصوص (عرعار، 2006، صفحة 172). بالإضافة إلى موسم الحج لعام 1957 الذي صادف إنعقاد جلسة الجامعة العربية في 03 نوفمبر 1957 أين بعث إلى الملك سُعود برسالة يذكِّرُه فيها بحقِّ الأُخُوّة والعقيدة واللّسان، وأنّ الجزائر بأمسِّ الحاجة لكل عربي ومسلم، من أجل تكثيف الجهود في دعم قضيتها وثورتها (المدني، 1986، صفحة 328).

لم يقتصر المدني على قيامه بالبحث عن وسائل الدعم الثوري للقضية الجزائرية من الجانب المادي (المال والسلاح) وحسب ، بل تعدّى ذلك إلى العمل الدبلوماسي، فقد كلّفه مكتب جبهة التحرير بالقاهرة بتحضير ونشر بيان يومي عن الثورة التحريرية عبر إذاعة صوت العرب(المدني، 1986، صفحة 463). ومن بين أهم خطاباته وبياناته، ذلك البيان الذي طالب عبره جميع الدول العربية بضرورة التضامن ومساندة الجزائر وقد طلب منهم تحديدًا إقامة إضراب جماعي عام الغاية منه مساندة القضية الجزائرية ودعم قضية إختطاف الطائرة (حادثة القرصنة الجوية) التي كانت تقل الوفد الجزائري "أحمد بن بلة، محمد خيضر، مصطفى الأشرف، آيت أحمد حسين، محمد بوضياف"، كما راسل كلاً من الملك محمد الخامس ملك المغرب و الرئيس التونسي بورقيبة راجيًا منهما التّدخل للإفراج عن المختطَفين (المدني، 1986، ص218).

كما ساهم أيضا بجهوده في كسب صداقة سوريا لمّا تمّ إستدعاء الوفد الجزائري يوم 15 مارس 1957 لزيارة دمشق من طرف الحكومة السورية قصد تسليم الثورة أموالا معتبرة ، حيث تمّ تجميع هذا المبلغ من العديد من الدول العربية (عرعار، 2006، صفحة 184) وكان ذلك رفقة كل من الإبراهيمي، العباس بن الشيخ الحسين، الغسيري، أحمد فرنسيس، عبد الرحمان كيوان، فرحات عباس، دردور وعبد الحميد مهري

وقد إستطاع بِخبرته وكفاءته – أيضا- أن تختاره الثورة للذهاب إلى السودان خلال شهر أوت 1956، مختارًا لصحبته كل من الشيخ الحسين وإسماعيل بورغيدة، فتمكّن من كسب ثقة السودان حُكّامًا وشعبًا، حيث قابل رئيس الوزراء "عبد الله خليل" آنذاك الذي وعدهبمناصرة القضية الجزائرية في أروقة هيئة الأمم المتحدة. وعرض عليه إرسال من يريد من الشعب السوداني للإنضمام للثورة التحريرية، فإعتذر المدني عن ذلك مجيبًا إياه : بأنّ الجزائر لا ينقصها الرجال (المدني، 1986، صفحة 190).

كما تجدر الإشارة إلى أنّ دوره كرئيس للمكتب الخاص بجبهة التحرير الوطني بدايةً من 08 مارس 1957 ساعده في الالتقاء بالعديد من الوفود العربية، والتي تكلّلت بعدد معتبر من الصكوك المالية التي كانت موجهة لصالح الثورة (المدني، 1986، صفحة 301).

وعليه يمكن القول أنّ المدني ودوره لا يقل أهمية عن غيره من رجال الجمعية الذين إستخدمتهم الثورة في تقرير مصيرها وكسب صداقة وثقة الدول العربية والإسلامية، إضافةً إلى مساهم اته الكثيرة في عمليات الترجمة للعديد من البيانات والمراسلات و الوثائق الرسمية للثورة من وإلى اللغة الفرنسية التي كانت تَصُبُّ في خانة القضية الجزائرية لتوضيح الأفكار ووجهات النظر لمختلف الأطراف العربية والأجنبية (رمضاني، 2021، صفحة 275).

II. خاتمة:

وختامًا لهذه الورقة البحثية تم التوصل إلى جملة من النتائج وهي:

- أنّ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانت أول الهيئات والأحزاب والجمعيات الجزائرية مبادرةً في مباركة الثورة التحريرية بالخارج منذ البداية وذلك عن طريق بياناتها التاريخية (02-03-15 نوفمبر1954)؛
- كان قادة ورجال جمعية العلماء يدركون أنّ العالم العربي هو الوحدة الكاملة وأنّ الجزائر الجزء الناقص منها، ما جعلها تستغل مكانة علمائها لدى العالم العربي والإسلامي لـلتعريف بالجزائر وقضيتها وثورتها التحريرية عندما قامت؛
- كان للإبراهيمي ورفاقه في المشرق العربي دور لا يقلُّ أهميةً عن دور الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني، فقد كانت إسهامات رجال جمعية العلماء في المشرق لها أثرها البالغ قبل الثورة التحريرية وأثناءها؛
- أثمرت جهود مكتب جمعية العلماء بالقاهرة بصورة كبيرة في جلب إهتمام العرب والمسلمين لنصرة القضية الجزائرية وثورتها؛
- إسهامات الإبراهيمي والورتلاني وتوفيق المدني والعباس ولد الحسين كانت فعّالة في نجاح مهام الوفد الخارجي للثورة التحريرية؛

- الحضور السابق والمتواصل لعلماء الجمعية في مختلف بلدان العالم العربي والإسلامي، ومواقفهم من مختلف القضايا العربية والإسلامية أدّى إلى تثبيت مكانتهم ومكانة جمعية العلماء وثقتها لدى بلدان المنطقة (شعوبًا وحكومات)..

- من أبرز قيادِيي ج معية العلماء نشاطًا لأجل الثورة التحريرية كان الفضيل الورتلاني وتوفيق المدني، بالإضافة إلى آخرين عرفناهم أم لم نعرفهم كانوا مرافقين لهم، على غرار الشيخ الإبراهيمي والشيخ الحسين، فقد كانوا سندًا لبعضهم البعض لتأكيد ثبات لُحمة الشعب الجزائري ووحدته الوطنية في الداخل والخارج.

- كل شخص ينتمي إلى جمعية العلماء من قريب أو من بعيد في الجزائر أو في خارجهاساهم بحسب موقعه ومكانته وقدرته، فلولا الجميع لما إستطاع أولئك تحصيل هذا النجاح وتحطيم الإستعمار.

- لم تتوان الدول العربية والإسلامية حكوماتٍ أو شعوبًا في إدّخار جهدها لمساندة ونصرة قضية الجزائر وثورتها التحريرية؛

- تضافرت جهود مفجري الثورة التحريرية بجهودقادة ورجال جمعية العلماء، الذين كان لهم الأثر الكبير في التعريف بالثورة في الخارج وتدويل القضية الجزائرية ليتشكل ذلك التناسق والتناغم بين العمل العسكري والعمل الدبلوماسي السياسي ؛

- نضال جمعية العلماء في الخارج (العالم العربي والإسلامي) قد سبق إندلاع الثورة التحريرية، وما إن إنطلقت أول رصاصة في الثورة المباركة حتى تبلور نشاطها في الخارج أكثر لصالح الجزائر والثورة.

- يمكن القول – ختامًا- بما قاله شيخ المؤرّخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله : " هل الثورة عندنا هي حمل السلاح فقط؟ إن كان الأمر كذلك، فإنّ هناك العديد من الثوريين لم يحملوا السلاح، وإنما كانوا اللّسان الناطق بإسم الذين حملوه، ولولاهم لبقي الثّوار في حصارٍ مادي وسياسي ومعنوي قاتل، كما حصل لثوار الجزائر الذين خاضوا الحرب منذ هزيمة الأمير عبد القادر سنة 1847، دون أن يسمع بهم أحد، مما ساهم في إفشال ثوراتهم (الإبراهيمي م.،2007، صفحة 4).

- وعليه كما ذكر أبو القاسم سعد الله نستنتج أنّ رجال الدِّين كان لهم الأثر الكبير في الانتفاضات والحروب، ، فرجل الدين كان هو المحرك للإنتفاضات ، وإذا رغب أي أحد في الثورة فإنّه كان عليه أن يبحث عمّن يجنّد له الجمهور من رجال الدين؛ وهذا ما وجدته جبهة التحرير الوطني في رجال ج معية العلماء في الداخل وفي الخارج على حدٍّ سواء.

الإحالات والمراجع:

1. Archives .(1960) .Wilaya d'Oran .Archives.
2. KHENDOUDI. (2007). Hommage et Témoignages, « Cheikh Mohamed El Bachir El Ibrahimi le Précurseur ». ALGER: ALEM EL AFKAR.
3. أحسن بومالي. (2010). ول نوفمبر 1954 ، بداية النهاية لخرافة الجزائر الفرنسية. الجزائر: دار المعرفة.
4. أحمد حداد. (2014). الشيخ أحمد حماني ودوره ي الحركة الإصلاحية والوطنية 1919-1998. الجزائر: دار الهدى.

5. الإبراهيمي. (1997). آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (المجلد 1). بيروت لبنان: دار الغرب الإسلامي.

6. البصائر. (1954). جريدة البصائر (283)، ص6.

7. الفضيل الورتلاني. (2009). الجزائر الثائرة (المجلد 4). الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتزيع.

8. توفيق المدني. (1986). حياة كفاح (المجلد ط3). الجزائر: الشكرة الوطنية للنشر والتوزيع.

9. رابح لونيسي. (2011). محاضرات وأبحاث في تاريخ الجزائر (المجلد 2). الجزائر: كوكب العلوم للنشر والتوزيع.

10. رمضاني. (2021). كمال رمضاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بين الهيمنة الاستعمارية ورغبة التحرر من خلال مواقفها من القضايا السياسية المحلية والعربية 1946 – 1956. الجزائر: جامعة الشلف.

11. رئاسة جمعية العلماء. (1956). بلاغ جمعية العلماء. جريدة البصائر ، صفحة 4،1.

12. عبد الرحمن الجيلاني. (2012). أسطر حول نشاط الشيخ البشير الإبراهيمي. تأليف الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه (الصفحات 381-382). الجزائر: دار الأمّة.

13. عبد الرحمن شيبان. (1956). البصائر (352).

14. عبد الرحمن شيبان. (2009). حقائق وأباطيل (المجلد 1). الجزائر: ثالة للطباعة والنشر.

15. عبد القادر نور. (2013). صوت الإمام الإبراهيمي في الثورة، أحاديث الإمام عن الثورة في إذاعة صوت العرب (المجلد 1). الجزائر: دار الوعي.

16. عمار بوحوش. (2013). التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962. الجزائر: البصائر الجديدة للنشر والتوزيع.

17. فتحي الديب. (1984). عبد الناصر وثورة الجزائر (المجلد 1). القاهرة، مصر: دار المستقبل العربي.

18. كريمة عرعار. (2006). دور رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في حشد دعم المشرق العربي للثورة التحريرية، رسالة ماجستير، قسم التاريخ. باتنة الجزائر: جامعة الحاج لخضر/باتنة.

19. لفضيل حسنين الورتلاني (1900-1959)، نصوص من آثار وشهادات العارفين بجهاده، جمع وتنسيق وتوثيق وتعليق، (2011). قسنطينة، الجزائر: دار الكسندر للطباعة والنشر والتوزيع.

20. محمد البشير الإبراهيمي. (2007). في قلب المعركة 1954 - 1962. الجزائر: دار الأمّة.

21. محمد العربي الزبيري. (1404 هـ - 1984م). الثورة الجزائرية في عامها الأول (المجلد 1). قسنطينة، الجزائر: دار البعث للطباعة والنشر.

22. محمد العيد تاورتة. (2011). الفضيل حسنين الورتلاني (1900-1959)، نصوص من آثار وشهادات العارفين بجهاده، جمع وتنسيق وتوثيق وتعليق. الجزائر: دار ألكسندر للطباعة والنشر والتوزيع.

23. محمد بن ساعو. (2016). جمعية العلماء المسلمين والثورة التحريرية 1954 - 1962. الجزائر: دار الأمّة.

24. محمد درق. (2010). ملامح الاتجاه الإسلامي في أدب المقال عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مذكرة ماجستير قسم الآداب واللغات. الجزائر: جامعة تلمسان.

25. محمد غازي، المواقف السياسية للشيخ محمد البشير الإبراهيمي، الباحث، مجلة أكاديمية محكمة للعوم الإنسانية، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، ع: 14، جانفي/ جوان، 2016.

26. مغزاوي ميلود. (2004). جمعية العلماء المسلمين (المجلد 1). الجزائر: دار التنوير للنشر والتوزيع.

27. مولود عويمر. (2007). أعلام وقضايا في التاريخ الإسلام المعاصر. الجزائر: دار الخلدونية.

28. ناصر الدين سعيدوني. (2000). منطلقات وآفاق " مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية" (المجلد 1). بيروت: دار الغرب.

29. يحي بوعزيز. (1995). أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة (الإصدار ج1، المجلد 1). بيروت: دار الغرب الإسلامي.